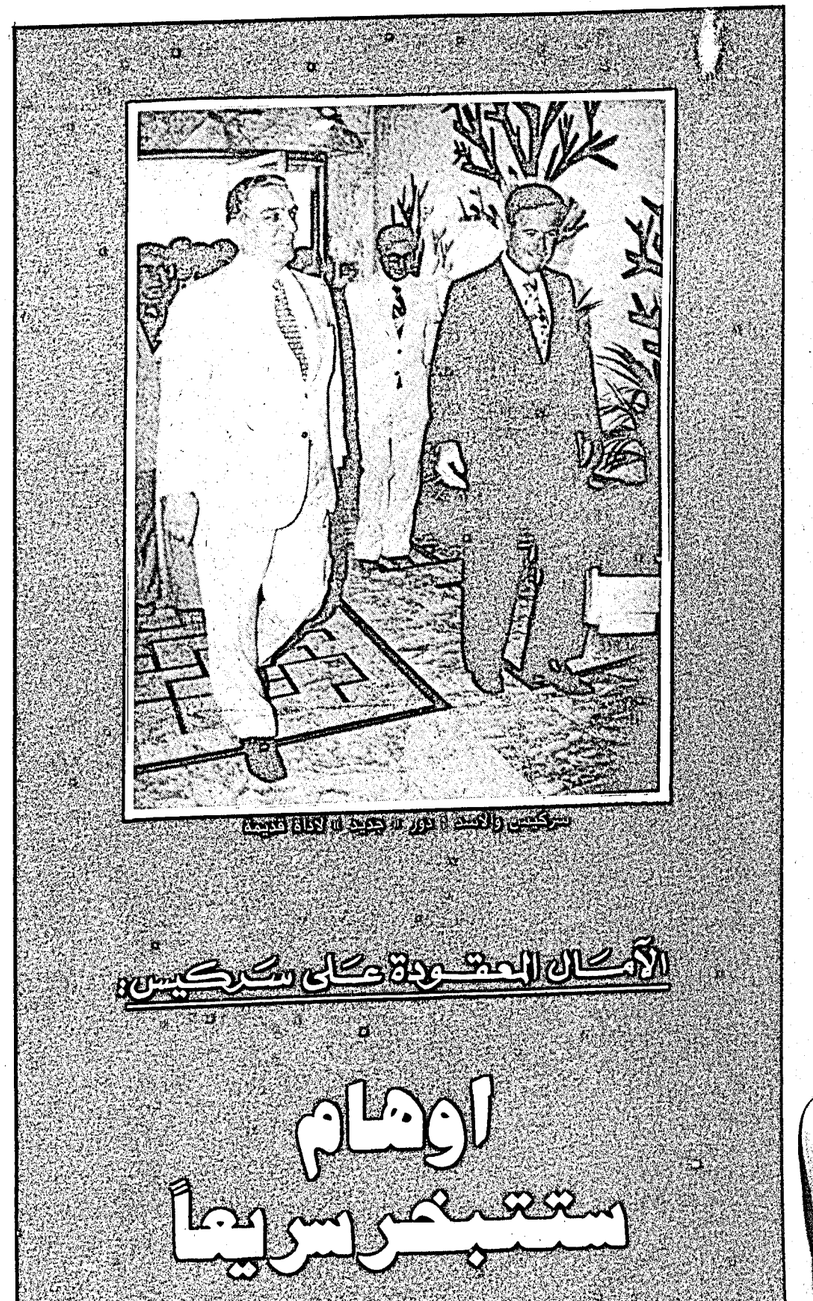

سركيس والاسد : دور « جديد » لاداة قديمة

الآمال المعقودة على سركيس:

اوهام ستتبخر سريعاً

مع بداية شهر نيسان كانت الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية قد الحقت بالفاشيين سلسلة من الهزائم مكنتها من السيطرة على اربعة اخماس الاراضي اللبنانية. وباتت معاقل الفاشيين في الاشرفية وجونية مهددة لولا نزوع الحركة الوطنية الى سياسة الحوار والمساومة والقبول بعودة الصراع الى الميدان البرلماني ، تحت شعار تحميل فرنجية مسؤولية ما حدث وبالعمل على اقالته وانتخاب بديل له . وبدأت معركة تعديل الدستور التي انتهت باجبار فرنجية على توقيع التعديل في الرابع والعشرين من نيسان . وفي الثامن من ايار تم تعيين الياس سركيس رئيسا للجمهورية اللبنانية بحراب حكام دمشق ، ووسط اجراءات سورية وفاشية ارهابية .

وفي ظل ميل موضوعي لغالبية المجلس النيابي الى تأييد مرشح الكفور والنظام السوري ، تأكد مرة اخرى وهم اعتماد قيادة الحركة الوطنية على برلمان كامل الاسعد وصائب سلام وكميل شمعون في امكان احداث تغيير ما في النظام السياسي الرجعي في لبنان .

ومنذ تلك الفترة والياس سركيس لا يمارس من صلاحيات الرئاسة شيئا سوى وصفه بلقب الرئيس المنتخب على امل ان تأتي اليه رياح التآمر نفسها التي جمعت له الاصوات الكافية بكرسي الرئاسة وسط ظروف نجاح المؤامرة . لقد اقتصر نشاطه منذ فرضه رئيسا منتخبا على بعض الاتصالات واللقاءات بأطراف الصراع ، والقيام بمحاولات فاشلة لوقف اطلاق النار ولعقد الطاولة المستديرة . واتت زيارته لدمشق في الحادي والثلاثين من اب ، ليس فقط كقمة لتحركاته واستعداداته لموعد التسلم والتسليم ، بل ايضا كمؤشر لمنحى جديد في مشروع مؤامرة اخضاع المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية .

رصانة الفاشيين

فبين انتخاب سركيس وزيارته الاخيرة لدمشق حصلت جملة من التطورات العسكرية والسياسية على خريطة الواقع اللبناني وتوزع القوى فيه . فمع اضطرار سوريا ـ الاسد ، امام عجز الفاشيين وبداية انهيارهم العسكري ، الى التدخل مباشرة وبشكل تآمري مفضوح بغزوهم للاراضي اللبنانية وملاحقتهم للقوى الوطنية واللبنانية ، انحسرت سلطة الحركة الوطنية وتراجعت عن عكار والكورة والبقاع وقسم من الجنوب ، بعد تلقي الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية عدة ضربات موجعة ، وفقدانها لبعض مواقعها الاساسية لصالح الفاشيين ، الذين حققوا بدورهم بعض الانتصارات العسكرية . هذا من جهة ومن جهة الفاشية المتطرفة ، كشعار الشعب الفلسطيني وطرده نهائيا من لبنان وتوزيعه على العالم العربي ، وبعد الدعوات الى مشاريع الكانتونات والكونفدرالية وغيرها ، بعد ذلك ، عاد الفاشيون واعلنوا اهداف مؤامرتهم برصانة وجدية ، وحددوها بشعارين اساسيين :

الاول : تطبيق اتفاق القاهرة ، مع ما يعنيه ذلك من فك ارتباط المقاومة بالحركة الوطنية اللبنانية وسحب سلاح المقاتلين وتجميع الفلسطينيين في المخيمات ، تمهيدا للتصفية ، الثاني : العمل على اعادة توحيد لبنان على اساس طائفي رجعي .

اجواء الزيارة

على ضوء هذه التغيرات اتت زيارة سركيس الى دمشق في ظل هيمنة الاجواء التالية :

● اختلال ميزان القوى لصالح جبهة الاعداء من فاشيين وغزاة سوريين ، وفي ظل تحرك الرجعية «الاسلامية» واتصالها بالكفور وبالعاصمة السورية ، مع ما يرافق ذلك من محاولات لعزل الحركة الوطنية عن الشارع الاسلامي وعن المقاومة الفلسطينية تمهيدا لقيام تحالف جديد يضم قيادة منظمة التحرير مرادف او بديل لتحالفها مع الحركة الوطنية .

● ميل قيادة الحركة الوطنية الى المساومة باستمرار لدرجة سبكوتها وموافقتها ضمنا على جميع الاتفاقات المذلة والتي عقدتها قيادة منظمة التحرير مع الغزاة السوريين . وبرغم الاعلانات الصاخبة والخطب الرنانة عن فييتنام ثانية وحرب التحرير الشعبية والجيش الشعبي وبرغم التصعيد العسكري والسياسي الفاشي ، فان قيادة الحركة الوطنية لا تزال لاهثة وراء وقف اطلاق النار والحوار والمائدة المستديرة وعقد الاتفاقات .

● يقف الغزاة السوريون امام متابعة المؤامرة بأسلوب الحسم العسكري ، رغم ما يكلفه هذا الاسلوب وفي هذه الفترة من خسائر كبيرة قد تلحق بالغزاة السوريين والفاشيين نتيجة التصدي الباسل الذي تقوم به الجماهير اللبنانية والفلسطينية ، كما حصل في جسر الباشا وتل الزعتر ، اذا تكبد الفاشيون خسائر ضخمة لتحقيق انتصارهم حول المواقع المنعزلة والمحاصرة منذ بداية الاحداث تقريبا .

كل ذلك يدفعنا للاعتقاد بأن الغزاة السوريين والفاشيين يفكرون بمتابعة مؤامرتهم على غرار ما حصل في الاردن مع المقاومة الفلسطينية ، بحيث تكون هذه المرحلة شبيهة بفترة ما بعد ايلول ١٩٧٠ التي انسحبت فيها المقاومة الى الاحراش وجمع السلاح في امكنة محددة وتمت مصالحة المقاومة مع الملك العميل وتلقت سلسلة موازية من الضربات العسكرية . وما ان اتى تموز ١٩٧١ حتى تلقت المقاومة ضربة قاصمة استسلمت على اثرها . بذرائع عديدة من نوع « ضرورة ان تلتزم المقاومة الفلسطينية بالعودة الى المخيمات وبسحب سلاح المقاتلين وتجميعه هذا من جهة ، وازالة المظاهر المسلحة . وتعود السلطة القديمة الى ممارسة دورها ، ليتم في فترة لاحقة الانقضاض على المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية في ظروف يمكن معها تصفية الحركتين معا .

في ظل هذه الاجواء اتت زيارة سركيس الى دمشق بناء لدعوة من حكامها في محاولة منهم لاستخدامه في تصفية المرحلة الاولى من مشروع المؤامرة ، والقاضي بالزام المقاومة بتنفيذ اتفاق القاهرة واعادة توحيد لبنان رجعيا .

فماذا دار بين الاسد وسركيس ؟

حسب ما اعلنته الاذاعات وما تناقلته الجرائد، تطرق البحث الى العروض التي طرحها سركيس على الاسد والتي تضمنت دعوة لمصالحة النظام السوري مع الحركة الوطنية ومنظمة التحرير واستشارة الاسد في عملية مصالحة لبنانية ـ لبنانية والطاولة المستديرة ، والتواجد العسكري السوري في لبنان . وحسب ما اعلن ايضا فان الاسد رفض مصالحة الحركة الوطنية والمقاومة ما لم تغيرا موقفهما من النظام السوري ! وكان سعي الاسد اكيدا الى اعطاء احتلال قواته العسكرية للاراضي اللبنانية استمرارية صفة الشرعية ، بالاضافة الى تأكيد الاسد على ضرورة وجود ما يسمى بـ « جبهة القوى الوطنية والقومية » في اي حوار حول مستقبل لبنان . هذا ما صرح به واعلن عن طبيعة ما دار في لقاء الاسد ـ سركيس .

سركيس الاداة

غير ان واقع الامور شيء وما دار بين الاسد وسركيس شيء اخر . فمن المعروف ان سركيس لم يدخل حلبة الصراع الدائر في لبنان استنادا الى قوة حزبه وميليشياته ، ولا اعتمادا على شعبية جماهيرية يتزعمها ، فهو لا يعدو كونه بيرقا استخدمه حكام دمشق والفاشيون ، يوم اضطروا الى الدخول في معركة برلمانية حول تعديل الدستور وانتخاب بديل لفرنجية ، واليوم مع اقتراب انتهاء ولاية فرنجية ومع دخول الامور في لبنان مرحلة من التأزم بات معها الحسم العسكري بالنسبة للغزاة السوريين وللفاشيين يكلف غاليا وغير مضمون النتائج ، وفي ظل استمرار قيادة منظمة التحرير وقيادة الحركة الوطنية في سياسة المساومة والتنازلات ، يجد حكام دمشق وارباب الكفور لسركيس دورا يمكنه ان يؤديه . فكان استدعاؤه الى دمشق لترتيب خطوات المؤامرة المقبلة في ظل عهده القادم . وبصرف النظر عما اعلن وما لم يعلن ، فان سركيس الذي فرضته الحراب السورية ، والذي يفتقد الى اية قاعدة شعبية او قوة خاصة به ، وينطلق منها ، فانه سيبقى اسير طموحات حكام دمشق وجبهة الكفور . وكل ما قيل وما يقال عن نزاهة سركيس وطبيعة عهده ، لا يعدو كونه كلاما لا يستند الى اي واقع موضوعي ، ان هو لم يأخذ بعين الاعتبار ، كون سركيس سيبقى الاداة التنفيذية والواجهة التي يعمل من خلفها المتآمرون . وفي هذا المجال لا يسعنا الا ان نؤكد وهم الاعتقاد بدور ايجابي قد يقوم به سركيس ، ودعوته الى استلام السلطة في مناطق الحركة الوطنية وما الى ذلك من الاوهام التي تطلقها قيادة الحركة الوطنية ، وكلها تثبت ان هذه القيادة لم تستفد بعد من تجربة التعامل مع الفاشيين وسائر الرجعيين . ان سركيس الذي لم يفصح بعد عن موقعه الطبيعي في الصراع ، والذي يبدي محاولات للظهور بمظهر الحكم لا الفريق ، والذي يتودد لجميع الاطراف ، ان سركيس لن يكون ولا يملك الا ان يكون اقل ، من فرنجية ، استعدادا لمتابعة المؤامرة متى نضجت ظروف استخدامه بشكل تآمري صريح . لذلك فالحركة الوطنية مطالبة بأن تعي كل هذه الحقائق ، لتستمر في تعبئة الجماهير وحشدها وتنظيم صفوفها للنضال حتى دحر الفاشيين وطرد الغزاة السوريين .

ج ع

تضامن

● تتابع القوى الديمقراطية في السويد والنرويج وفنلندا اهتمامها بأحداث لبنان . وتشهد المدن في البلدان الثلاث ندوات ولقاءات مستمرة تحت عنوان التضامن مع الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية . ويتم في هذه الاجتماعات تنظيم عملية الدعم والاسناد الاعلامي والطبي .

وكانت الرفيقة ايفا ستال (سميرة) التي تخضع للعلاج الان في احد مستشفيات السويد قد ساهمت بجهد كبير في اطلاق حملة واسعة تحت عنوان « تل الزعتر » وذلك قبل سقوط المخيم . ولا زال اهتمام وسائل الاعلام في ازدياد ، فقد عقدت الرفيقة سميرة واحد الرفاق المكلفين بمتابعة تحقيق برنامج لجمع الادوية والمساعدات العلاجية الطبية العديد من اللقاءات الصحفية التي شملت الصحف الكبرى وصحف الاقاليم وتقول المعلومات التي تلقتها « الهدف » تليفونيا ان التجاوب من قبل فئات واسعة من المواطنين يزداد خصوصا على ضوء التقارير التي نشرت هناك حول الممارسات والمجازر الفاشية في تل الزعتر .